

## **الباب الأول**

**من هم أهل البيت؟**

## أهل البيت فى آية التطهير

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (١).

فمن هم أهل البيت أولئك المطهرون أصحاب هذه الآية؟

أهم نساء الرسول ﷺ؟

أم هم أقاربه؟

أم هم على وفاطمة والحسن والحسين ﷺ؟ (٢).

يذهب بعض العلماء والمفسرين إلى أن المراد بأهل البيت فى هذه الآية نساء النبى ﷺ ودليلهم فى ذلك ورود هذه الآية فى سياق الآيات

التي تخاطب زوجات النبى ﷺ حيث يقول تبارك وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ

١- (الأحزاب ٢٣)

٢- راجع البخارى ج ٢- ٦٢، ٥٤، ج ٤- ١٠٢، ج ٥- ٢٥ حيث يذكر عليا بقوله ﷺ - وفى ج ١- ١٢٨، ج ٥- ٢٦ حيث يذكر فاطمة بقوله ﷺ وفى ج ٥- ٢٣ حيث يذكر الحسين بقوله ﷺ وهكذا نجد البخارى وغيره من كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ يذكرون أهل البيت فى مواضع عديدة بقولهم ﷺ مما يبين أن ذلك ليس بدعة ولا مستحدثا ولا منافيا للشرع كيف ذلك وقد أمرنا بالصلاة عليهم فالله تعالى يقول "إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما" ولما سأل الصحابة الرسول ﷺ عن كيفية الصلاة عليه أجابهم بقوله "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد - رواه مسلم والبخارى وأبو داؤد والترمذى والنسائى وابن جرير وأحمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم - فالرسول ﷺ قرن الصلاة عليه بالصلاة على الآل وأنت أخى المسلم ماذا تقول فى صلاتك أفلا تقول " اللهم صل على محمد وآل محمد؟ وقد نهى الرسول ﷺ عن الصلاة البتراء والتي يصلى فيها المرء على الرسول وحده ثم يمسك ولا يصلى على الآل فقد روى ابن حجر فى صواعقه المحرقة أن الرسول ﷺ قال "لا تصلوا على الصلاة البتراء فقالوا وما الصلاة البتراء؟ قال تقولون اللهم صل على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد" الصواعق المحرقة ص ٢٢٥.

وَأَسْرَحَكُنَّ سَرَاخًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتَنَ تَرُدَّتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذَارَ  
 الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ  
 يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مَبِينَةٍ يَضَعَفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ  
 عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ \* وَمَنْ يَفْتَنَنَّ مِنْكُنَّ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِيهَا  
 أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ  
 النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا  
 مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ  
 الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ  
 عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى  
 فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

إذا تأملنا في هذه الآيات المباركة نجد فعلا أن آية التطهير ﴿٣٣﴾ إنما  
 يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ تقع في سياق  
 الآيات التي تخاطب نساء النبي ﷺ وللوهلة الأولى يظن قارئ هذه  
 الآيات أنها جميعا - بما فيها آية التطهير - تخاطب نساء النبي ﷺ  
 حيث انها جزء من هذه الآيات وهذا ما دفع الكثيرين إلى القول بأن  
 أهل البيت في آية التطهير هم نساء النبي ﷺ. ومعظم الذين يقولون  
 بهذا الرأي يعتمدون على ما ذكره ابن كثير في تفسيره حيث يقول  
 بعد أن أورد هذه الآيات: وهذا نص في دخول أزواج النبي في أهل البيت  
 هنا لأنهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول. داخل فيه قولاً واحداً  
 إما وحده على قول أو غيره على الصحيح <sup>(٢)</sup> ويقول أيضاً: والذي لا  
 يشك فيه من تدبر القرآن أن نساء النبي ﷺ داخلات في قوله تعالى:  
 ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. فإن سياق  
 الكلام معهن ولهذا قال الله تعالى بعد هذا كله: واذكرن ما يتلى في

١ - الأحزاب ٢٨-٣٤.

٢ - (تفسير ابن كثير ٣-٤٨٣)

بيوتكن من آيات الله والحكمة.

وهكذا اعتمد ابن كثير في رأيه هذا على أن آية التطهير قد جاءت في سياق الآيات التي تخاطب نساء النبي ﷺ بالإضافة إلى ذكره آثاراً عن عكرمة أنه كان ينادى بهذه الآية ويقول أنزلت في نساء النبي خاصة وأورد أنه قال من شاء باهله أنها نزلت في نساء النبي خاصة وساق عكرمة ذلك عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وهكذا يعتبر ابن كثير أن لهذه الآيات جميعاً بما فيها آية التطهير سبب نزول واحد يخص نساء النبي ﷺ.

نعم عزيزي القارئ إن آية التطهير تقع فعلاً وسط الآيات التي تخاطب نساء النبي ﷺ فهل يعنى ذلك أن آية التطهير نزلت مع بقية الآيات ولنفس سبب النزول؟ أم أنها نزلت مستقلة ولسبب نزول مختلف؟ ودعنا نتساءل عزيزي القارئ هل ترتيب الآيات في المصحف الشريف هو نفس ترتيب النزول؟

من المعلوم أن ترتيب الآيات والسور في المصحف الشريف يختلف عن ترتيب النزول فالمصحف يفتح بسورة الفاتحة ثم سورة البقرة ويختتم بسورة الناس وليس هذا ترتيب النزول فسورة الفاتحة ليست أول السور نزولاً كما أن سورة الناس ليست آخر ما نزل.

وأيضاً فإن ترتيب الآيات في السورة الواحدة ليس على حسب ترتيب النزول فربما تجد في سورة مكية آيات مدنية وتجد في سورة مدنية آيات مكية بل ربما تجد آيات في سياق واحد يفصل بينها زمن طويل ولكل سبب نزول خاص فنقرأ مثلاً في سورة البقرة - والتي تعد من أوائل ما نزل من القرآن في المدينة المنورة - نقرأ فيها قول الله تعالى:

﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>. فهل نزلت هذه الآية في نفس وقت نزول الآيات السابقة عنها واللاحقة لها أم نزلت متأخرة عن بقية الآيات بفترة زمنية طويلة

١ - (البقرة ٢٨١)

على الرغم من وحدة السياق؟ فهذه الآية يعتبرها البعض آخر ما نزل من القرآن حيث يقول سعيد بن جبير آخر ما نزل من القرآن كله " واتفقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون "عاش النبي ﷺ بعد نزول هذه الآية تسع ليال كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (١) وذكر ايضاً عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال آخر شيء نزل من القرآن واتفقوا..... الآية أى أن هذه الآية لم تنزل مع الآيات السابقة لها فى السياق واللاحقة عليها وإنما نزلت بعد تلك الآيات بفترة زمنية طويلة ما بين نزول سورة البقرة فى أوائل الهجرة وحتى أواخر حياة الرسول ﷺ ومعنى ذلك أن ورود آية فى سياق آيات أخرى لا يعنى بالضرورة نزولها مع نفس الآيات ولنفس سبب النزول.

أيضاً فهناك شيء آخر فقد تجد فى القرآن آية واحدة\_ وليس مجموعة آيات \_ هذه الآية تتحدث فى صدرها وذيلها عن موضوع واحد تام المعنى بينما وسطها يتحدث عن موضوع آخر مختلف عن موضوع صدر الآية وذيلها مما يبين نزول تلك الآية مجزأة ولكل جزء سبب نزول خاص. أى أن وسط الآية يعتبر بمثابة جملة اعتراضية وهذا أسلوب من أساليب اللغة العربية والتي نزل بها القرآن ومثال ذلك قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْنَقَسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ بَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾

فتأمل عزيزى القارئ فى هذه الآية الواحدة حيث أن صدرها \_ أى قوله تعالى حرمت عليكم..... إلى قوله ذلكم فسق \_ يتحدث عن

١ \_ (تفسير ابن كثير ج ١ - ٣٣٣)

٢ \_ (المائدة ٣)

المحرمات من الطعام وكذلك ذيلها \_ فمن اضطر... إلى قوله تعالى غفور رحيم يتحدث عن نفس الموضوع بينما وسط الآية "اليوم يئس \_ إلى قوله الإسلام دينا \_ يتحدث عن موضوع آخر وإذا تأملت عزيزي القارئ في صدر الآية وذيلها وجدته كلاما غير متوقف في تمام معناه وإفادة المراد منه على شيء من قوله تعالى "اليوم يئس الذين كفروا... وألفيته آية كاملة مماثلة لما تقدم عليها في النزول من الآيات الواقعة في سورة الأنعام والنحل والبقرة المبينة لمحرمات الطعام ففي سورة البقرة "إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم"<sup>(١)</sup>.

يتضح من ذلك أن قوله تعالى "اليوم يئس الذين كفروا" كلام معترض في وسط هذه الآية فهل نزل هذا الجزء من الآية في مناسبة معينة غير المناسبة التي نزلت فيها بقية أجزاء الآية والتي تتحدث عن محرمات الطعام؟

يذكر ابن كثير في تفسيره<sup>(٢)</sup> قول السدي أنزلت هذه الآية يوم عرفة \_ يرى أهل السنة أن هذه الآية نزلت يوم عرفة بينما يقول أهل البيت أنها نزلت في الثامن عشر من ذي الحجة يوم غدیر خم \_ ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام. وقال ابن جرير مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوما. وذكر البخاري أن اليهود قالت لعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً فقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إني لأعلم حين أنزلت أين أنزلت أين كان رسول الله ﷺ حيث أنزلت يوم عرفة وأنا والله بعرفة<sup>(٣)</sup>.

فهذه آية واحدة يتكلم أولها وآخرها عن موضوع واحد بينما وسطها يتكلم عن موضوع آخر وله سبب نزول مختلف عن بقية أجزاء الآية وهذا أسلوب معروف في اللغة العربية لا ينكره من عرف عادة العرب الفصحاء

١ \_ (البقرة ١٧٣)

٢ \_ (تفسير ابن كثير ج ٢\_ ١٢)

٣ \_ (البخاري ج ٦\_ ٦٣ \_ للوقوف على حقيقة زمن نزول هذه الآية انظر هذا الكتاب ص ٦٥ و٦٦ و٦٧ .

فى كلامهم فإنهم يذهبون من خطاب الى غيره ويعودون اليه والقرآن من ذلك مملوء وكذلك كلام العرب وأشعارهم وهذا نفس ما نلاحظه فى آيات سورة الاحزاب من قوله تعالى " يا أيها النبى ..... إلى قوله " لطيفا خبيرا" (١) فهذه الآيات لم تنزل دفعة واحدة كما أنها تتناول أكثر من موضوع ولها أسباب نزول متعددة تماما مثلما رأينا فى الآية الثالثة من سورة المائدة فأول الآيات وآخرها يتحدث عن موضوع يتعلق بنساء الرسول ﷺ بينما آية التطهير فى وسط الآيات يتحدث عن موضوع آخر يتعلق بأهل البيت وله سبب نزول مختلف.

ودعنا نتساءل عزيزى القارىء مرة أخرى هل هذه الآيات جميعا بما فيها آية التطهير نزلت معا ولنفس سبب النزول أم أن آية التطهير نزلت مستقلة ولسبب نزول مختلف ؟ وبمعنى آخر هل الآيات الأولى والتي تسمى بآيات التخيير نزلت مع آية التطهير ولنفس السبب أم أن لها سبب نزول خاص ؟ إن آيات التخيير " يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما" (٢) فهذه الآيات نزلت حينما أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يخير نساءه بين أن يفارقهن فيذهبن إلى غيره مما يحصل لهن عنده الحياة الدنيا وزينتها وبين الصبر على ما عنده من ضيق الحال ولهن عند الله تعالى فى ذلك الثواب الجزيل فاخترن رضى الله عنهن الله ورسوله والدار الآخرة كما ذكر ذلك ابن كثير فى تفسيره (٣).

إنك تلاحظ عزيزى القارىء أن هذه الآيات نزلت فى جو من التوتر والاختلاف والحزن والأسى حيث أن أزواج النبى ﷺ سألته شيئا من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة النفقة وآلى رسول الله ﷺ منهن شهرا وإعتزلهن حتى ظن الصحابة أنه قد طلقهن. فى مثل هذا الجو نزلت آية

١- (الأحزاب ٢٨-٣٤)

٢- (الأحزاب ٢٨-٢٩)

٣- (تفسير ابن كثير ج ٣ - ٤٨٨)

التخيير فقد روى الواحدى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال كان رسول الله ﷺ جالسا مع حفصة فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك أن أجعل بينى وبينك رجلا قالت نعم فأرسل الى عمر فلما أن دخل عليهما قال لها تكلمى فقالت يا رسول الله تكلم ولا تقل إلا حقا فرفع عمر يده فوجأ وجهها ثم رفع يده فوجأ وجهها فقال له النبى ﷺ كف يا عمر فقال عمر يا عدوة الله النبى لا يقول إلا حقا والذى بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتى فقام النبى ﷺ الى غرفة فمكث فيها شهرا لا يقرب شيئا من نسائه يتغذى ويتعشى فيها فأنزل الله تعالى هذه الآيات . وروى البخارى ومسلم عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت نزلت آية التخيير فبدأ بى أول امرأة من نسائه فقال ﷺ لى ذاك لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلى حتى تستأمرى أبويك - وقد علم أن أبوى لم يكونا يأمرانى بفرقه - قالت ثم قال " إن الله تبارك وتعالى قال " يا أيها النبى قل لأزواجك الآيتين قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فقلت أفى هذا أستأمر أبوى فإنى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا <sup>(١)</sup> وروى الإمام أحمد عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال أقبل أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يستأذن رسول الله ﷺ والناس يبابه جلوس والنبى ﷺ جالس وحوله نساؤه فلم يؤذن له ثم أقبل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فاستأذن فلم يؤذن له ثم أذن لابى بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فدخلا والنبى ﷺ جالس وحوله نساؤه وهو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ساكت فقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأكلمن رسول الله ﷺ لعله يضحك فقال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتنى النفقة أنفا فوجأت عنقها فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه وقال " هن حولى يسألننى النفقة فقام أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الى عائشة ليضربها وقام عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الى حفصة كلاهما يقولان تسألان النبى ﷺ ما ليس عنده فنهاهم الرسول ﷺ فقلن والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده قال وأنزل الله عز وجل الخيار فبدأ بعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فقال " إنى أذكر لك أمرا ما أحب أن تعجلى فيه حتى تستأمرى

١ - (فتح البارى ج ٨ - ٦٢٨ ومسلم ج ٣ ٦٧٧)

أبويك" قالت وما هو؟ قال فتلا عليها "يا أيها النبي قل لأزواجك" قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أفيك أستامر أبوي بل أختار الله ورسوله وأسالك أن لا تذكر لإمرأة من نسائك ما اخترت فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إن الله تعالى لم يبعثني معنفا ولكن بعثني معلما ميسرا لا تسألني إمرأة منهن عما اخترت إلا أخبرتها" <sup>(١)</sup> وهكذا عزيزي القارئ يتبين لك من هذه الأحاديث سبب نزول آية التخيير حينما طلبت زوجات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيادة النفقة وأدى ذلك إلى إختلاف وتوتر جعل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتزل أزواجه شهرا وكان يحتجب من أصحابه فلا يأذن لهم بالدخول. فى وسط هذا الجو المفعم بالأسى والحزن نزلت آية التخيير التى تخاطب نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هذا الجو يختلف تماما عن الجو الذى نزلت فيه آية التطهير ذلك الجو المفعم بالرحمة والمحبة والمودة والسكينة والعطف والحنان وهذا ما سيتضح عندما نعرف سبب نزولها فقد أخرج الترمذى <sup>(٢)</sup> والحاكم وصححه <sup>(٣)</sup> وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى سننه من طرق عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: فى بيتى نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفى البيت فاطمة وعلی والحسن والحسين فجللهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكساء كان عليه ثم قال "اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا". وروى مسلم عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ <sup>(٤)</sup>. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يبيتها على منامة له عليه كساء خيبرى فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أدع زوجك وابنيك حسن وحسين فدعتهم فبينما هم يأكلون

١ - (مسلم ج ٣ - ٦٧٧)

٢ - (الترمذى ج ٥ - ٢٠، ج ٥ - ٣٢٨)

٣ - (الحاكم فى المستدرک ج ٣ - ١٣٣)

٤ - (مسلم ج ٥ - ٢٨٧)

إذ نزلت على رسول الله ﷺ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** فأخذ النبي ﷺ بفضله إزاره فغشاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وأومأ بها الى السماء ثم قال " اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " قالها ثلاث مرات قالت أم سلمة فأدخلت رأسى فى الستر فقلت يا رسول الله وأنا معهم فقال " إنك على خير مرتين ". وفى رواية لأحمد<sup>(١)</sup> قالت فرفعت الكساء لأدخل معهم ف جذبته من يدي وقال إنك عل خير ". وفى رواية الحاكم قالت أم سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال " إنك على خير وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهل بيتى أحق "<sup>(٢)</sup> من هذه الأحاديث يتضح لك عزيزى القارىء أن آية التطهير نزلت مستقلة ولم تنزل مع الآيات التى تخاطب نساء النبي ﷺ وأن لهذه الآية سبب نزول خاص يختلف عن سبب نزول بقية الآيات وأن هذه الآية إنما نزلت فى بيت السيدة أم سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** وأنها نزلت فى خمسة فى رسول الله ﷺ وعلى وفاطمة والحسن والحسين **عليهم السلام** وأن رسول الله لم يدخل معهم السيدة أم سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** بالرغم من كونها إحدى زوجاته ليفرق عمليا بين أهل بيته وزوجاته فتأمل أيها القارىء الكريم الحرص الشديد للسيدة أم سلمة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا** ورغبتها الملحة فى أن تنال ذلك الفضل العظيم وأن تكون من أهل البيت المطهرين فحاولت الدخول معهم فى الكساء بل ورفعته لتدخل معهم ولكن الرسول ﷺ لم يسمح لها بالدخول بالرغم من خيريتها ومنزلتها العالية لماذا؟ لأن هؤلاء فقط هم أهل بيته ولا أحد غيرهم وبالتالي فلا يجوز لأى أحد أن يدخل معهم غيرهم فيفعل ما لم يفعله الرسول ﷺ والذى لا يفعل إلا ما يوحيه إليه ربه

وأیضا إذا تأملنا فى الآيات السابقة لآية التطهير والتى تخاطب نساء النبي ﷺ نجد أن الخطاب فيها بنون النسوة كتنن، تردن ..... وكذلك أيضا فى الآيات اللاحقة واذكرن، بيوتكن أما فى آية

١- (مسند أحمد ج ١- ٣٣٠)

٢- (الحاكم فى المستدرک ج ٣- ١٣٣، ج ٢ ٤١٦)

التطهير فيختلف الخطاب ويصبح للتذكير ولم يقل الله تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكن الرجس أهل البيت ويطهركن تطهيرا فلماذا اختلف الخطاب من التأنيث إلى التذكير؟ ولماذا لم يستمر التأنيث الموجود في الآيات التي تخاطب نساء النبي ﷺ؟ أفلا يدل ذلك على أن المخاطب في تلك الآيات غير المخاطب في آية التطهير؟ .

وكذلك فإذا أمعنا النظر في الآيات التي تخاطب النساء نجدها قد حددت لهن برنامجا إلهيا وتعاليم محددة للوصول إلى الطهر والكمال يشمل إرادة الله ورسوله، العمل الصالح، التقوى، عدم الخضوع بالقول، قول المعروف، القرار في بيوتهن، عدم التبرج، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، طاعة الله ورسوله، ذكر ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة. وأسندت الإرادة في هذه الآيات للنساء ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ﴾ أي أنها إرادة بشرية يتوقف النجاح في هذا البرنامج الإلهي على مدى إلتزام النساء به بينما نجد الإرادة في آية التطهير إرادة إلهية كونية "إنما يريد الله" وإرادة الله تعالى محققة لا محالة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١)

ونلاحظ أيضا في الآيات التي تخاطب النساء أن كلمة بيت جاءت على صيغة الجمع ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ و﴿وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ بينما في آية التطهير جاء لفظ البيت مفردا "أهل البيت" مما يبين أن لرسول ﷺ بيوتا للزوجية بينما هناك بيت آخر محدد تشير إليه آية التطهير عند نزولها وكان فيه أهل الكساء فقط. فبيوت الزوجية كانت بيوتا متعددة تسكنها زوجات الرسول ﷺ كما قال تعالى "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم" (٢). إن بيت الزوجية سببه العقد الشرعي الذي يمكن تقويض دعائمه بكلمة واحدة هي كلمة الطلاق تصبح المرأة بعدها أجنبية عن الزوج كما يبين ذلك الصحابي زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما سئل من هم أهل بيت

١ - (يس ٨٢)

٢ - (الأحزاب ٥٣)

الرسول نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها<sup>(١)</sup> أما البيت الذى أشارت اليه الآية عند نزولها فهو بيت النبوة والذى كان فيه أهل الكساء الخمسة هذا البيت دائم لا ينفك ولا يزول.

من كل ما سبق يتضح لك عزيزى القارىء أن آية التطهير تختلف عن بقية الآيات فى سبب النزول وتوقيته وأجوائه وفى أسلوب الخطاب ومضمونه مما يبين أنها نزلت فى أناس آخرين غير النساء اللاتى نزلت فيهن الآيات الأخرى

وشىء آخر يجعل الأمر أكثر وضوحا فهل من المناسب أن يذهب الله تعالى الرجس عن النساء ويطهرهن تطهيراً مطلقاً ثم بعد ذلك يوجه إلى بعضهن العتاب الشديد والتهديد بالطلاق والإستبدال بأزواج خيرٍ منهنّ وذلك لما قمنّ به تجاه رسول الله ﷺ كما جاء فى سورة التحريم حيث يوجه الله تعالى الخطاب إلى اثنتين من نساء الرسول ﷺ بقوله "إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما"<sup>(٢)</sup> وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا"<sup>(٣)</sup> ومن المعلوم أن سورة التحريم نزلت بعد سورة الأحزاب حيث جاء فى كتاب الإتقان فى علوم القرآن "وأنزل بالمدينة سورة البقرة ثم آل عمران ثم الأنفال ثم الأحزاب ثم المائدة ثم إذا جاء نصر الله والفتح ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم التحريم ثم الجمعة ثم التغابن ثم سبح الحواريين أى سورة الصف ثم الفتح ثم التوبة وخاتمة القرآن"<sup>(٤)</sup> مما يؤكد أن النساء لسن من أهل البيت الذين تعنيهم آية التطهير

٣ \_ (صحيح مسلم ج ٥\_٢٧٤)

١ \_ أى مالت وانحرفت عن الحق

٢ \_ (التحريم ٤\_٥)

٣ \_ (الأتقان فى علوم القرآن ج ١\_٨٤)

## التعريف النبوى لأهل البيت عليهم السلام

يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ويقول أيضا ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> فالرسول صلّى الله عليه وآله قد بين للأمة كل ما تحتاجه فى أمور دينها وقد فصل صلّى الله عليه وآله ما أجمله القرآن حيث ورد فى القرآن ألفاظ لها معنى لغوى معروف ولكن الرسول صلّى الله عليه وآله بيّن من خلال سنته الشريفة المعنى الشرعى لهذه الألفاظ فمثلا الصلاة فى اللغة تعنى الدعاء وفى الشرع لها معنى خاص من قيام وقراءة وركوع وسجود وذكر فى أوقات معينة بيّنّها رسول الله صلّى الله عليه وآله وكذلك الزكاة فى اللغة تعنى النماء والحج يعنى القصد وقد بيّن الرسول المعنى الشرعى لهذه الأمور وفصل ما أجمله القرآن فالله تعالى أمرنا فى القرآن بالصلاة ولكن لم يبين عدد الصلوات أو الركعات ولكن الرسول صلّى الله عليه وآله هو الذى فصل ذلك وبيّن أيضا كل ما تحتاجه الأمة حتى فى أبسط الأمور مثل آداب الطعام وحتى آداب قضاء الحاجة فهل يهمل الرسول صلّى الله عليه وآله أمرا هاما للغاية مثل أمر أهل البيت ولا يبينه ويفصله وهو الأمر الذى أولاه إهتماما بالغا وأوصى الأمة أن تتمسك به مع القرآن فى مناسبات عديدة وفى آخر حياته حيث قال " إني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وعترتى أهل بيتى ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض " فهل يوصى رسول الله صلّى الله عليه وآله الأمة بشيء مبهم مجهول؟ وإذا كان لأهل

البيت معنى لغوى قد يتشدد به البعض فهل لم يبيّن الرسول صلّى الله عليه وآله المعنى الشرعى له كما بيّن فى سائر الأمور؟ أم أنه صلّى الله عليه وآله قد عرف الأمة بأهل البيت حتى صار أمرهم معلوما وجليا لأصحابه لدرجة أن أحدا

١- (النحل ٤٤)

٢- (النحل ٦٤)

منهم لم يسأله عنه بالرغم من الحشد الهائل الذى استمع لوصيته صلى الله عليه وسلم

ولنرى عزيزى القارىء ماذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن أهل البيت عليهم السلام وكيف عرفهم لأمته فقد روى الواحدى النيسابورى عن أبى سعيد الخدرى "إنما يريد الله... الآية" قال نزلت فى خمسة فى النبى صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين <sup>(١)</sup> وأخرج الحاكم فى المستدرک عن ابن عباس قال "أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه فوضعه على على وفاطمة وحسن وحسين وقال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ <sup>(٢)</sup> وأخرج ابن جرير وابن ابى حاتم والطبرانى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "نزلت هذه الآية فى خمسة فى وفى على وفاطمة وحسن وحسين ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فهل بعد قول الرسول صلى الله عليه وسلم من قول؟ وهل بعد بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحتاج إلى بيان من أحد آخر كائنا من كان؟ ألا يجدر بنا أن نرضى بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن نستسلم له كما أمرنا الله تعالى بذلك؟ لقد حصر الرسول صلى الله عليه وسلم أهل بيته الذين تعنيهم آية التطهير فى خمسة فكيف نجعل لهم سادسا وسابعا وثامنا و.... وندخل فيهم بأهوائنا من ليس منهم؟ أليست هذه جرأة على الله ورسوله؟ إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكتف بحصرهم بالقول فقط وإنما حصرهم أيضا بالفعل حين جللهم تحت الكساء كما مر سابقا ولم يسمح بدخول السيدة أم سلمة رضي الله عنها معهم ليؤكد هذا الحصر وأن أهل البيت ليسوا إلا هؤلاء فقط ولم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك أيضا بل قام بعمل إعلامى رائع حتى لا يخفى أمر أهل البيت على أحد وليقطع الطريق على الذين يحاولون التبديل والتحريف والتزوير فقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أشهر يأتى كل يوم باب على بن بى طالب عند وقت كل صلاة فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

١- (أسباب النزول للواحدى ٢٢٩)

٢- (المستدرک للحاكم ج ٣- ١٣٢- ١٣٣ وصححه الذهبى)

الْبَيْتِ وَيَطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً ﴿١﴾ وروى الطبرانى عن ابن الحمراء قال رأيت رسول الله ﷺ يأتى باب على وفاطمة ستة أشهر فيقول ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً﴾ وروى ابن جرير وابن مردويه عن أبى الحمراء حفظت من رسول الله ﷺ ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى إلى باب على فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال " الصلاة الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً﴾ وروى ابن أبى شيبه وأحمد والترمذى وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم وصححه وابن مردويه عن أنس ولفظه أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر ويقول يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً﴾ (١)

فتامل عزيزى القارىء فى فعل رسول الله ﷺ إنه لم يفعله مرة أو مرتين أو ثلاث ولم يفعله يوماً أو يومين أو ثلاثة ولكنه فعله وكرره شهوراً طويلة بل ربما كرره فى اليوم الواحد أكثر من مرة وعند كل صلاة فلماذا الإصرار على ذلك التكرار وتلك المدة الطويلة؟ إن الرسول ﷺ لم يفعل ذلك بعيداً عن سمع وبصر الصحابة الذين كانوا يشهدونه حين يجتمعون فى المسجد فى أوقات الصلاة فكل يوم تشهده مجموعة منهم وبمرور هذه الأشهر الطويلة يكون قد شهد جمع غفير والذين غابوا عنه كانوا يعلمونه ممن شهدوه حيث كان الشاهد يبلغ الغائب حتى صار أمر أهل البيت لا يخفى على أحد من الصحابة ولذلك لم نر أحداً منهم يسأل الرسول ﷺ عنه إن الرسول ﷺ وسلم كان ينادى طوال تلك الفترة علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام بصفتهم يا أهل البيت ولم يكن يدعو لهم وكان يتلو آية التطهير وهو يناديهم ليعرف الأمة من هم أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً والذين نزلت فيهم آية التطهير. ترى لماذا لم يفعل الرسول ﷺ ذلك قط ولو لمرة واحدة مع نسائه أو مع واحدة منهن؟

ولماذا لم ينادهن ولو لمرة واحدة بهذه الصفة يا أهل البيت؟ ألا يعتبر عمل الرسول ﷺ مع أهل بيته عملا إعلاميا رائعا وناجحا؟ خاصة وأن المدينة المنورة كانت صغيرة وقليلة السكان.

أليس هذا تعريفا عمليا بأهل البيت حتى لا يخفى أمرهم على أحد ولا يلتبس عليه؟ لقد أراد الرسول ﷺ بذلك العمل الإعلامي الرائع أن يقطع الطريق أمام كل المنحرفين وذوى الأهواء وحتى لا يأتي أحد فى يوم من الأيام ويقول إن أهل البيت هم نساء النبى أو غيرهم. فهل يجرؤ أحد أن يقول ما يخالف البيان النبوى إلا إذا كان فعلا متبعا لهواه وأعمته ظلمة العصبية وفى قلبه مرض؟ ألا نحتاج إلى شيء من التجرد والحيادية والنزاهة ونحن نتأمل تلك المواقف والأحداث؟ ألا نحتاج أيضا إلى نبذ العصبية والتقليد الأعمى؟ أليس من الأجدر للذين يتكلمون بأهوائهم وآرائهم المخالفة لقول وفعل الرسول ﷺ أن يتخلوا عن هذه الأهواء والآراء ويستسلموا لما جاءهم عن الرسول ﷺ عملا بقول الله تعالى " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم " (١)؟ لو كانت قضية أهل البيت قضية ثانوية ما أولاهها الرسول ﷺ كل هذا الإهتمام ولما حرص عليها كل هذا الحرص ولما كررها مثل ذلك التكرار ألا يدل فعل الرسول ﷺ على أهمية تلك القضية وعلى حرصه الشديد على أن تصل واضحة جلية إلى كل المسلمين وحتى لا يلتبس الأمر عليهم من بعده؟ ونحن على يقين أن أهل البيت ﷺ كانوا معروفين تماما فى حياة الرسول ﷺ وكان الصحابة يعرفون ذلك بوضوح وبصورة لا لبس فيها مما يفسر عدم سؤالهم الرسول ﷺ عنهم وإنما اختلقت تلك الأقوال المخالفة بعد زمن من وفاة الرسول ﷺ من قبل الذين حاربوا أهل البيت وحاولوا القضاء على مكانتهم ومحو ذكركم.

وفى موقف عملى آخر بيّن الرسول ﷺ من هم أهل بيته عند نزول قول الله تعالى " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل

تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم  
ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين" (١) فمن الذين اصطحبهم  
الرسول ﷺ لكي يباهل بهم وفد نصارى نجران؟ إنه لم يصحب إلا  
حسنا وحسينا وفاطمة وعلياً ولم يصحب أحداً غيرهم إنه صحب  
تلك الوجوه التي قال عنها النصارى حين رأوهم لقد جاءكم بوجوه  
لو استقبل بها الجبال لزالَت (٢) فقد روى مسلم فى صحيحه عن سعد  
بن أبى وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ انه قال "ولما نزلت هذه الآية" فقل تعالوا ندع  
أبناءنا وأبناءكم الآية" دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسنا  
وحسينا فقال "اللهم هؤلاء أهلى" (٣).

١\_ (ال عمران ٦١)

٢\_ (راجع كتب التفسير وصحيح مسلم وسنن الترمذى)

٣\_ (صحيح مسلم ٥\_٢٦٩)

## أهل البيت عند زوجات الرسول ﷺ

زوجات الرسول ﷺ لهن المنزلة العظيمة والمكانة العالية فهن أمهات المؤمنين كما قال الله تعالى " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم " (١) ولا شك أيضا أنهن من أعلم الناس بأهل البيت حيث نزلت آية التطهير في بيت واحدة منهن وشهدن ما فعله الرسول ﷺ عند نزول آية التطهير وكذلك رووا عنه الأحاديث التي جاءت في هذه الواقعة ومما لا ريب فيه أن لأهل البيت ﷺ المكانة العالية والمنزلة السامية والفضل العظيم الذي يطمع فيه كل إنسان ويتمنى أن يكون من هؤلاء الأطهار المطهرين ولذلك لما نزلت آية التطهير في بيت السيدة أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَغَشَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا وفاطمة والحسن والحسين ﷺ بفضلة إزاره ودعا وقال " اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا " علمت السيدة أم سلمة فضل ومكانة أهل الكساء فحاولت الدخول تحت الكساء طمعا أن تكون منهم وأرادت أن تتبين موقعها من أهل البيت فسألت الرسول ﷺ وأنا من أهل البيت؟ فأجابها بقوله " إنك على خير وهؤلاء أهل بيتي اللهم أهل بيتي أحق " فالسيدة أم سلمة روت الأحاديث المتعلقة بتلك الواقعة ولم يؤثر عنها القول بأنها من أهل البيت .

اما السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقد ذكرت أن الآية نزلت في خمسة حيث قالت:

خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (٢)

١ - (الأحزاب ٦)

٢ - (صحيح مسلم ج ٥\_ ٢٨٧)

فهل أن النساء كن يعلمن أنهن من أهل البيت المطهرين وكنتم ذلك الفضل العظيم مع أن الله تعالى يأمرهن بقوله " وأذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة "؟ أم أنهن كن يعلمن علم اليقين من هم أهل البيت ولذلك لم يؤثر عن واحدة منهن القول بأنها منهم؟ وإذا كانت النساء من أهل البيت فلماذا لم ينادهن الرسول ﷺ ولو لمرة واحدة بهذه الصفة يا أهل البيت كما كان يفعل مرارا مع على وفاطمة عليهما السلام؟

وإننا نتساءل لماذا نزلت آية التطهير فى بيت السيدة أم سلمة بالذات؟ ولماذا لم تنزل فى بيت على وفاطمة عليهما السلام؟ هل لتكون السيدة أم سلمة شاهدة عيان - من خارج أهل البيت - على تلك الواقعة فتكون إحدى الوسائل الإعلامية الهامة لنشرها بين المسلمين؟ خاصة وأن السيدة أم سلمة رضي الله عنها كانت شديدة العاطفة والولاء لأهل البيت وشديدة التعلق بهم وهى المعروف عنها الحكمة ورجاحة العقل كما يتبين ذلك من خلال مشورتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديبية فعندما فرغ الرسول ﷺ من كتابة الصلح مع مشركى مكة قال لأصحابه " قوموا فانحروا فوالله ما قام منهم أحد حتى قال ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد قام فدخل على أم سلمة رضي الله عنها فذكر ما لقي من الناس فقالت يا رسول الله أخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تتحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج ولم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك فنحر بدنه ودعا

حالقه فحلقه فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق لبعض حتى كاد بعضهم يقتل بعضا<sup>(١)</sup> وأيضا نجد الرسول ﷺ يخصها من بين زوجاته ويعطيها تربة من أرض كربلاء - أتى بها جبريل عليه السلام - لتحفظ بها ويقول لها إذا تحول هذا التراب إلى دم فأعلمى أن الحسين قد قتل<sup>(٢)</sup> فهل نزلت الآية فى بيت السيدة أم سلمة رضي الله عنها لتحمل مسئولية نشر تفاصيلها بين المسلمين خاصة وأنها عمرت طويلا بعد

١ - (الرحيق المختوم - ٣٥٥)

٢ - (راجع البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ - ١٨٨)

وفاة الرسول ﷺ وعاصرت قتل الإمام الحسين عليه السلام ووقعت مغشياً عليها عندما علمت بقتله <sup>(١)</sup> وهل نزلت الآية في بيتها أيضاً لتتم التفرقة عملياً بين أهل البيت وبين الزوجات حين لم يسمح لها الرسول ﷺ بالدخول تحت الكساء بالرغم من خيريتها وأفضليتها؟

---

١- (المصدر السابق - ج ٣ - ٢٠٣)

## أهل البيت عند الصحابة

إن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قد عاصروا نزول آية التطهير وسمعوا من رسول الله ﷺ وأراه شهوراً عديدة عند كل صلاة وهو يقول لعلى وفاطمة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ ولذلك فإنهم كانوا يعرفون تماماً من هم أهل البيت الذين تعنيهم آية التطهير ولذا لم نرهم يسألون الرسول ﷺ عن أهل بيته ولقد نقل الصحابة إلينا الأحاديث التي تبين من هم أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال " نزلت هذه الآية في خمسة فيّ وعلى وفاطمة وحسن وحسين ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾. إن الصحابي زيد ابن أرقم لا ينفى فقط أن النساء لسن من أهل البيت وإنما يعلى ذلك كما جاء في صحيح مسلم عندما سئل من هم أهل بيت الرسول نساؤه؟ قال لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها<sup>(١)</sup>. بل إن الصحابة كانوا يعبرون عن السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِآلِ أَبِي بَكْرٍ وليس بآل الرسول ﷺ رغم أنها كانت إحدى زوجاته كما جاء ذلك في الحديث الذي رواه البخاري عن السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا والذي يتحدث عن نزول آية التيمم والذي يقول في نهايته أسيد بن الحضير وهو يقصد السيدة عائشة " ما هي بأول بركاتكم يا آل أبي بكر<sup>(٢)</sup> لقد عبر ذلك الصحابي عن السيدة عائشة بآل أبي بكر ولم يقل يا آل رسول الله ﷺ رغم أنها كانت متزوجة من رسول الله ﷺ مما يبين أن الصحابة كانوا يعلمون تماماً من هم أهل البيت وأن النساء لسن منهم ولذلك لم يسألوا الرسول ﷺ عن أهل بيته وهذا

١ - (صحيح مسلم ٥-٢٧٤)

٢ - (البخاري ج ١- ٩١)

بيِّن أن التساؤل عن أهل البيت لم يظهر في حياة الرسول ﷺ وإنما ظهر متأخرا بعد زمن من وفاة الرسول ﷺ يتبيَّن ذلك من إجابة الصحابي زيد بن أرقم عندما سئل عن أهل البيت فحاول الاعتذار عن الإجابة بكبر سنه فقد روى مسلم عن يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم فلما جلسنا إليه قال له حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت خلفه لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يا زيد ما سمعت عن رسول الله ﷺ قال يا ابن أخي والله لقد كبرت سنى وقد همى ونسيت بعض الذى كنت أرى من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلفوني ثم قال قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خمأ بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعد وذكّر ثم قال "أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به" فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال "وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي" (١) من هذا يتبيَّن أن التساؤلات عن أهل البيت ﷺ جاءت متأخرة وأثارها البعض للتشكيك في أهل البيت الحقيقيين ولصرف الناس عنهم فراحوا ينشرون أقوالا مخالفة لأقوال رسول الله ﷺ واستخدموا في ذلك أشخاصا أمثال عكرمة وغيره ممن كان لهم موقف من أمير المؤمنين على بن أبى طالب العظيمة وراحوا يروجون لهذه الأقوال التى لا تعتمد على دليل من كتاب أو سنة وإنما هى مجرد أهواء وعصبية وخدمة لبعض الأهداف السياسية التى كانت موجودة فى ذلك الوقت

وهكذا يتضح أن مقولة أن النساء من أهل البيت إنما هى واحدة من الأشياء الكثيرة التى أستحدثت بعد وفاة الرسول ﷺ وفى نهاية زمن الصحابة

١ - (صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ - ١٨٤)

تبيّن لك عزيزي القارئ ماذا قال الرسول صلّى الله عليه وآله عن أهل البيت وماذا قالت نساؤه وكذلك الصحابة ولكننا نجد عكرمة يخترع قولاً آخرًا مخالفًا لكل هذه الأقوال وهو الذي لم يعاصر الرسول صلّى الله عليه وآله ولم يسمع منه حيث كان ينادى بأية التطهير ويقول أنزلت في شأن نساء النبي خاصة فعلى أي شيء اعتمد عكرمة في قوله هذا؟ أعلى على كتاب الله وسنة رسوله؟ أم على أقوال نساء النبي وصحابته؟ أم كان اجتهادًا خاصًا منه وجرأة على النصوص الكثيرة والصريحة؟ وهل نترك عزيزي القارئ قول الرسول صلّى الله عليه وآله لقول عكرمة أو غيره؟ سأل رجل ابن عباس رضي الله عنهما عن مسألة فأجابه فيها بحديث فقال الرجل قال أبو بكر وعمر فقال ابن عباس "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وتقولون قال أبو بكر وقال عمر" فإذا كان ابن عباس يتخوف أن تنزل الحجارة على من يترك قول الرسول صلّى الله عليه وآله لقول أبي بكر وعمر مع ما لهما من مكانة ومنزلة فماذا يقول عن من يترك قول الرسول صلّى الله عليه وآله لقول عكرمة؟!

إن عكرمة لم يكتف بذلك القول فقط وإنما كان يتجاسر ويقول من شاء باهله أنها نزلت في شأن نساء النبي خاصة إنه أراد أن يصور نفسه في دور البطل حيث لا أحد سواه ولا أحد يجرؤ على التصدي له وكان الجميع استسلم لقوله وتركوا ما عداه مع أن معظم المسلمين كانوا يقولون بما قاله الرسول صلّى الله عليه وآله فهل لم يجد عكرمة أحدًا في الأمة يقول ما كان يقوله الرسول صلّى الله عليه وآله حتى يباهله؟ أم أنه كان يردد قوله ذلك في جنبات نفسه وبعيدا عن سمع المسلمين؟! ولماذا أظهر عكرمة قوله ذلك في تلك الفترة بالذات؟ أم أنه كان يخدم أهدافًا أخرى وكان ضمن الجهاز الإعلامي الذي أسندت إليه عملية التحريف والتزوير والتضليل والقضاء على مكانة ومنزلة أهل البيت وصرف

إن عكرمة مثال لأولئك الذين حاربوا أهل البيت عليهم السلام. ألم يكن من الخوارج؟ فماذا نتوقع منه أن يقول عن أهل البيت وهو يحاربهم؟ ثم من هو عكرمة وماذا قالوا عنه؟ قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال عكرمة مولى ابن عباس أحد أوعية العلم تكلم فيه لرأيه لا لحفظه فأتهم برأى الخوارج وقد وثقه البخارى أما مسلم فتجنبه وروى له قليلا مقرونا بغيره وأعرض عنه مالك وتحايده إلا فى حديث أو حديثين وقال حدثنا وهيب قال شهدت يحيى بن سعيد الأنصارى وأيوب فذكرنا عكرمة فقال يحيى: كذاب. وعن يزيد بن أبى زياد عن عبيد الله ابن الحارث قال دخلت على بن عبيد الله فإذا عكرمة فى وثاق عند باب الحسن فقلت له ألا تتقى الله فقال إن هذا الخبيث يكذب على أبى. ويروى عن ابن المسيب أنه قال ما يسوءنى أن يكون من أهل الجنة ولكنه كذاب. وقال حدثنا هشام بن عبد الله المخزومى سمعت ابن أبى ذئب يقول رأيت عكرمة وكان غير ثقة. ونقل عن محمد بن سعد كان عكرمة كثير العلم والحديث بحرا من البحور وليس يحتج بحديثه ويتكلم الناس فيه. وقال مطرف بن عبد الله سمعت مالكا يكره أن يذكر عكرمة ولا أرى أنه يروى عنه. وعن يعقوب الحضرمى عن جده قال وقف عكرمة على باب المسجد فقال ما فيه إلا كافر قال كان يرى رأى الأباضية. وقال مصعب الزبيرى كان عكرمة يرى رأى الخوارج قال وادعى على ابن عباس أنه كان يرى رأى الخوارج وعن عطاء بن أبى رباح أن عكرمة كان أباضيا وروى سليمان بن معبد السنجى قال مات عكرمة وكثير عزة فى يوم فشهد الناس جنازة كثير وتركوا جنازة عكرمة <sup>(١)</sup> وعن ابن المسيب أنه قال لمولاه برد لا تكذب على كما كذب عكرمة على ابن عباس

هذا هو عكرمة فهل نترك قول الرسول صلّى الله عليه وآله لقوله؟!!!!!

١- (راجع ميزان الاعتدال ج ٥ ١١٦ الى ١١٩)

## ماذا تعنى آية التطهير؟

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ ﴾ إذا تأملنا فى هذه الآية وجدنا فيها الإرادة الإلهية المستمرة لإذهاب الرجس والتطهير الإلهى المطلق الإرادة الإلهية المستمرة والتي يفيدها الفعل المضارع " يريد " والإذهاب المستمر للرجس كما يفيد الفعل المضارع المؤكد "ليذهب" وكذلك نجد التطهير الإلهى المطلق لأهل البيت كما يفيد المفعول المطلق " تطهيرا " فبالله عليك عزيزى القارىء هل يبقى ذنب أو إثم أو دنس مع تلك الإرادة الإلهية المستمرة لإذهاب الرجس وذلك التطهير الإلهى المطلق؟ إن الله تعالى \_ وليس العبد \_ هو الذى يذهب الرجس باستمرار وهو الذى يطهر التطهير المطلق فهل يبقى مع ذلك ذنب أو إثم أو دنس أو معصية؟ إذا بقى شىء من ذلك فإننا نتهم التطهير الإلهى بأنه غير كامل وحاشاه أن يكون كذلك. قد يحاول الإنسان تطهير نفسه بنفسه ولكن هذا التطهير البشرى يختلف عن التطهير الإلهى للإنسان الذى يجعله طاهرا مطهرا أما تطهير الإنسان لنفسه فإنه يجعله متطهرا التطهير البشرى قد لا ينجح فيه الإنسان وأيضا فإنه لا يصل به الى الكمال حيث يبقى معه بعض الرجس والدنس على عكس التطهير الإلهى الذى لا رجس معه ولا دنس . إن هناك أعمالا فى الإسلام تطهر صاحبها كالصدقة والصلاة يقول الله تعالى " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها " (١) ويقول الرسول ﷺ " أرأيتم لو أن نهارا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء "؟ قالوا لا يبقى من درنه شىء قال ﷺ " فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا " (٢) فإذا كان هذا تطهير الصلاة والتي يؤدبها المسلمون جميعا فكيف بالتطهير الإلهى الذى يختص الله به

١- (التوبة ١٠٣)

٢- (صحيح مسلم بشرح النووي ج٥-١٧٣)

بعض عباده كأهل البيت عليهم السلام؟ هل يبقى لأولئك الذين طهرهم الله رجس أو ذنب أو معصية؟ وماذا يعنى هذا؟ ألا يعنى العصمة؟ إن الله تعالى قد عصم أصحاب هذه الآية حيث أن الذنب والإثم والمعصية دنس ورجس وقذارة لا يليق ولا يتفق مع الطهر الإلهي فأى ضرر فى القول بعصمة أهل البيت عليهم السلام؟ وهل إذا قلنا بعصمة إنسان فإننا نجعله بذلك إلهاً أو نبياً؟ إنه بشر وليس بإله أو نبي ولكنه لا يترك واجبا ولا يفعل محرماً وأى عجب فى ذلك؟ إذا كان أصحاب هذه الآية غير معصومين كما يرى البعض فإنهم يمكن بالتالى أن يتركوا الواجبات ويأتوا المحرمات فبالله عليك عزيزى القارىء هل يتناسب ذلك مع الإذهب الإلهي المستمر للرجس والتطهير الإلهي المطلق؟ إذا كانوا غير معصومين فما هى الميزة التى أعطتها الآية لأهل البيت على غيرهم من البشر حيث سيشاركونهم فى الإثم والمعصية ويصبح الجميع سواء فى هذا الأمر. إذا كان أصحاب تلك الآية غير معصومين فلماذا إذن النزاع على من هم أهل البيت فسواء كانوا من أهل البيت أو لم يكونوا فالجميع يرتكب الذنوب والمعاصى كما يرى الذين يقولون بعدم العصمة؟ فلا يبقى إلا أن نقول إن آية التطهير لا تعنى إلا العصمة ويؤيد هذا المعنى قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه أحمد من عدة طرق<sup>(١)</sup> وصححه الألبانى<sup>(٢)</sup> "إنى قد تركت فىكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا كتاب الله وعترتى أهل بيتى ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض" فالله تعالى يقول عن القرآن "لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"<sup>(٣)</sup> فالقرآن معصوم ومنزه عن الخطأ وكذلك العترة لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جعلها فى الحديث السابق عدل القرآن ولا تفارقه فالعترة معصومة تماماً كالقرآن وهى بالتالى لا ترتكب الذنوب والمعاصى لأنها لو

١ \_ (مسند أحمد ٥\_ ١٨٢)

٢ \_ (صحيح الجامع الصغير ٢١٧/٢ رقم ٢٤٥٤ وراجع أيضا سلسلة الأحاديث الصحيحة

٤/٣٥٥\_٣٥٨)

٣ \_ (فصلت ٤٢)

فعلت لفارقت القرآن وهذا خلاف ما أخبر به الرسول ﷺ. إن هذا الحديث يبين أن أهل البيت ﷺ لا يخالفون القرآن وفي نفس الوقت لا يختلفون فيما بينهم وهذه الصفة لا تتوفر إلا في أهل الكساء ولا توجد في غيرهم. فهذه الصفة لم تتوفر في نساء النبي ﷺ حيث اختلفن فيما بينهن وانقسمن الى حزبين كما روى ذلك البخارى عن السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن نساء الرسول ﷺ كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء الرسول ﷺ (١) فأى الحزبين كان من أهل البيت؟ إن أهل البيت لا يختلفون فيما بينهم ولكن قد يختلفون مع غيرهم حيث نجد أن السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا اختلفت مع الامام على الْعَلِيِّ وَأَخْرَجَتْ لِقَاتَالَهُ فَهَلْ كَانَ الْاِثْنَانِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمَعَ الْقُرْآنِ رَغْمَ ذَلِكَ الْاِخْتِلَافِ وَالْاِقْتِتَالِ؟ أم أن أحدهما كان من أهل البيت ومع القرآن لأن أهل البيت لا يخالفون القرآن ولا يختلفون فيما بينهم؟ والرسول ﷺ يقول "على مع القرآن والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض" (٢). فيتبين من معنى آية التطهير أن نساء النبي ﷺ لسن من أهل البيت ﷺ.

ويبقى سؤال هام لماذا خص الله تعالى أهل البيت ﷺ بهذا التطهير دون بقية الأمة؟ إن الله تعالى جعل لأهل البيت مرتبة ومنزلة تسمو على بقية الأمة وخصهم بالتطهير ليكونوا القادة الريانيين والأئمة الهداة المهديين تطيعهم الأمة وتتبعهم وتقترن بهم وتسلك طريقهم وتسير على خطاهم وهى على ثقة أنها تسير فى صراط الله المستقيم دون زيغ أو انحراف.

١- (البخارى ج ٣- ٢٠٤)

٢- (أخرجه الطبرانى فى الأوسط )

## تساؤلات حول آية التطهير

بالرغم من الأحاديث الصحيحة والصريحة التي بيّنت مَنْ هم أهل البيت الذين نزلت فيهم آية التطهير وبالرغم من أقوال نساء الرسول ﷺ وأقوال الصحابة فإننا نجد البعض يثير الشبهات والتساؤلات حول هذه الآية ولا يريد أن يستسلم للدليل الصحيح والبرهان الساطع وتحمله العصبية على محاولة صرف المسلمين عن أهل البيت الحقيقيين ولا ندرى سبب ذلك والدافع إليه. هل هو امتداد للسياسة التي ظهرت في زمن الفتنة التي عاشها المسلمون في صدر الإسلام تلك السياسة التي كانت تهدف إلى القضاء على مكانة ومنزلة أهل البيت الحقيقيين ومحاولة صرف المسلمين عنهم؟. فرى أحد الكتاب يقول:

آية التطهير إنما نزلت في نساء النبي ﷺ كما قال تبارك وتعالى "يا نساء النبي..... إلى قوله لطيفا خبيرا" إن الذي يراعى سياق هذه الآيات يوقن أنها في نساء النبي ﷺ والحديث يبدأ فيها بثناء الله سبحانه وتعالى لهم (هكذا أوردها الكاتب).

إنه يقول بكل جرأة إن آية التطهير إنما نزلت في نساء النبي ﷺ ويستخدم أداة الحصر إنما ضاربا عرض الحائط بالأحاديث الصحيحة التي وردت عن الرسول ﷺ وكذلك لم يلتفت إلى ما قالته نساء النبي أنفسهن وكذلك الصحابة وكان دليله فقط التأمل في سياق الآيات هذا السياق الذي أوضحنا أمره فيما سبق والذي ظهر لك جليا عزيزي القارئ الاختلاف البين بين آية التطهير والآيات الأخرى.

ويقول ايضا "مما يؤكد أن الآية لم تنزل في أصحاب الكساء رضوان الله تعالى عليهم بل في نساء النبي خاصة حديث الكساء نفسه ذلك أن الرسول ﷺ في حديث الكساء دعا لأصحاب الكساء بأن يذهب الله عنهم الرجس بقوله "اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب

عنهم الرجس" فإذا كانت الآية نزلت فيهم وقد أخبر الله فيها بإذهاب  
الرجس فما الداعى لدعاء كهذا من رسول الله ﷺ !!  
ويستطرد قائلاً:

إنما أراد رسول الله ﷺ من دعائه هنا أن يضم الله عز وجل أصحاب  
الكساء وهم من أهل بيته بلا ريب إلى نسائه اللاتي نزلت فيهن الآية  
في المعنى الذي تضمنته الآية وهو إرادة التطهير ورفع الرجس.

إن الكاتب يتساءل متعجباً من دعاء الرسول ﷺ لأهل الكساء  
ويجعل ذلك دليلاً على أنهم ليسوا من أهل البيت. إن الآية نزلت لتبيّن  
إذهاب الرجس عن أهل البيت وتطهيرهم مطلقاً وهنا يبرز  
تساؤل من هم أهل البيت هؤلاء؟ فجمع الرسول ﷺ أهل بيته وحصرهم  
تحت الكساء ودعا لهم لبيّئ أهل البيت الذين تعنيهم الآية وليجيب  
عن التساؤل الذي يمكن أن تطرحه الآية. ولو تأمل الكاتب قليلاً في  
دعاء الرسول ﷺ لا تضح له أن أهل الكساء هم أهل البيت دون غيرهم  
فالرسول ﷺ يقول في دعائه "اللهم هؤلاء أهل بيتي" فجعلهم كل أهل  
البيت ولم يقل اللهم هؤلاء من أهل بيتي فيجعلهم جزءاً منهم فالرسول  
ﷺ يشير إلى أن أصحاب الكساء هم كل أهل البيت وليسوا جزءاً  
فقط. ثم لماذا تجاهل الكاتب الرواية التي ليس فيها دعاء والتي رواها  
مسلم عن السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه  
مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين  
فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ  
اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (١) فالرسول ﷺ في  
هذا الحديث لم يدع ولكنه قرأ الآية لبيّئ أن هؤلاء هم أهل البيت  
الذين تعنيهم الآية. أيضاً لماذا تغافل الكاتب عن الروايات الكثيرة  
التي ذكرت أن الرسول ﷺ كان يمر بباب فاطمة وعلى وقت كل  
صلاة ويناديهم الصلاة الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ  
عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ إن الرسول ﷺ كان يفعل

١ - (صحيح مسلم ج ٥ - ٢٨٧)

ذلك مرارا ولشهور طويلة وهو يناديهم بصفتهم يا أهل البيت ويتلو الآية ليؤكد أنهم أهل البيت الذين تعنيهم الآية ولم تذكر هذه الأحاديث أن الرسول صلّى الله عليه وآله كان يدعو لهم وإنما كان فقط يناديهم بصفتهم "يا أهل البيت". لقد نزلت آية التطهير ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ وفى هذه الآية كلمة "أهل البيت" فأراد الرسول صلّى الله عليه وآله أن يعرف الأمة من هم أهل البيت الذين تعنيهم الآية ولو لم يفعل لكثير التساؤل عن أهل البيت هؤلاء أهم نساؤه؟ أم اقاربه؟ أم ابنته وزوجها وابناها؟ فأراد الرسول صلّى الله عليه وآله أن يعرفهم للأمة فجعلهم تحت الكساء ودعا لهم فحصر أهل بيته فيهم وبذلك فقد أغلق الطريق أمام أصحاب الأهواء الذين يريدون إدخال من يشاءون فى أهل البيت وإخراج من يشاءون. ثم إن الرسول صلّى الله عليه وآله أراد أن يؤكد وقوع إذهاب الرجس والتطهير المطلق لأهل بيته حيث أن دعاءه مستجاب قطعاً مما يدل على أن الله تعالى قد أذهب الرجس فعلاً عن أهل البيت وطهرهم تطهيراً حتى لا يأتى أحد ويقول إن الله تعالى أراد إذهاب الرجس والتطهير ولكن ذلك لم يتحقق كما يقول ذلك الكاتب "ويطهركم تطهيراً" ليس فيه إخبار بذهاب الرجس لماذا دعا الرسول صلّى الله عليه وآله أهل الكساء إذا كانت الآية بينت فعلاً أن الله تعالى قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؟ نقول أما قوله ليس فيه إخبار بذهاب الرجس فإنه يناقض نفسه حيث يقول: فإذا كانت الآية نزلت فيهم وقد أخبر الله فيها بإذهاب الرجس فما الداعى لدعاء كهذا من رسول الله صلّى الله عليه وآله فإنه يقر أن الله تعالى أخبر فيها بإذهاب الرجس وأما الذى ينكره فهو دعاء الرسول صلّى الله عليه وآله بعد إخبار الله تعالى بإذهاب الرجس. أليس هذا تناقضاً؟ ولماذا كل ذلك؟ لأجل طمس حقيقة أهل البيت عليهم السلام وصرف الناس عنهم بدافع العصبية البغيضة؟ أما تساؤله عن دعاء الرسول صلّى الله عليه وآله لأهل الكساء إذا كانت الآية بينت فعلاً أن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فنقول أن الآية نزلت وفيها لفظة "أهل البيت" فأراد الرسول صلّى الله عليه وآله أن يبين من هؤلاء المقصودون بأهل البيت وأراد أيضاً أن يؤكد وقوع

إذ هاب الرجس والتطهير المطلق بالإضافة إلى أن الدعاء والإلحاح فيه نوع من العبودية والتذلل لله تعالى كما قال الرسول ﷺ "الدعاء مخ العبادة" وقال "الدعاء هو العبادة" فالرسول ﷺ يمارس الدعاء في مثل تلك المواطن التي اعطاه الله فيها سؤله مسبقا ومع ذلك يدعو كنوع من العبودية و التذلل لله تعالى والانتطاق إليه مع ما فيه أيضا من إظهار الشكر وطلب استمرار الفيض الإلهي . فالله تعالى يقول "إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" (١) ومع ذلك فهل ترك الرسول ﷺ الاستغفار بعد نزول هذه الآية ؟ الله تعالى قد هدى رسوله ﷺ ومع ذلك كان يقرأ " إهدنا الصراط المستقيم " وفي غزوة بدر كان الرسول ﷺ يدعو " اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك " (٢) وعند الطبراني بإسناد جيد " اللهم إني أنشدك ما وعدتني " (٣) أى أن الله تعالى قد وعد رسوله ﷺ بالنصر ومع ذلك فهو يدعو الله تعالى ويطلب النصر منه إلحاحا على الله وتذللا له فالدعاء فى آية التطهير بالإضافة إلى أنه يبين من هم أهل البيت فإنه يحمل أيضا نفس هذه المعانى . إن الكاتب يذكر أن الله تعالى انزل آية التطهير فى نساء النبي ﷺ ولكن الرسول ﷺ أراد أن يضم أصحاب الكساء إلى أهل بيته فدعا لهم وعجب ما يقوله الكاتب ! إنه يصور الرسول ﷺ لا يقنع ولا يرضى بما ينزله الله تعالى حيث أن الله تعالى يريد تطهير أناس معينين هم نساء الرسول ﷺ - حسب ما يرى الكاتب - بينما يريد الرسول ﷺ تطهير أناس آخرين من ذريته وأقاربه فهل يريد الرسول ﷺ ما لا يريد الله عز وجل وهل كان الرسول ﷺ يريد أن يجامل أقاربه ؟ لقد علمنا القرآن أن الرسول ﷺ لا يفعل شيئا من تلقاء نفسه بل هو متبع لأمر الله تعالى " إن أتبع إلا ما يوحى إليّ " (٤) ولكن هذا الكاتب يصور الرسول ﷺ لا يقنع بالوحى ويريد شيئا من تلقاء نفسه. لو كان الرسول ﷺ

١ - (سورة الفتح ١ و٢)

٢ - (فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ج٧-٢٥٤)

٣ - (المصدر السابق ج٧-٣٥٥)

٤ - (يونس ١٥)

يريد ضم أهل البيت كما يقول الكاتب لقال في دعائه " اللهم إن هؤلاء من أهل بيتي " ولأنزل الله تعالى عليه قرآنا يخبره بإجابة دعوته كما أنزل على موسى حينما دعا ربه " ربى اجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى و أشركه فى أمرى " (١) فرد الله تعالى عليه وأجابه بقوله " قال قد أوتيت سؤلک يا موسى " (٢).

ويتعجب الكاتب من القول بعصمة أهل الكساء خاصة عصمة السيدة الزهراء عليها السلام فيقول: الاستدلال بالآية على عصمة أصحاب الكساء لا يخلو من العجب لأمر بديهى يعرفه كل أحد وهو أن حديث الكساء يذكر السيدة فاطمة رضوان الله عليها كأحد الأطراف الذين نزلت فيهم الآية " ويستطرد متسائلا متعجبا " إذا كان الأمر كذلك فهل السيدة فاطمة نبيهة أو من الأئمة لكى تضى عليها صفة العصمة؟! وما الغاية التى لأجلها أضيفت عليها العصمة!!

نقول أما الاستدلال بالآية على عصمة أهل الكساء فقد أشرنا إليه من قبل ونقول أيضا إن المتقين يكاد يقتربون كثيرا من العصمة حيث يقول الله تعالى عنهم " إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون " (٣). إنهم لا يستجيبون لوساوس الشيطان وإذا هموا بالذنب تذكروا فلم يقدموا عليه . إذا كان هذا هو حال المتقين وهم كثير فكيف يكون حال الأئمة وعددهم قليل وقد جعلهم الله تعالى أئمة للبشرية بما فيهم المتقين " وإجعلنا للمتقين إماما " (٤). إن الإمام إنما جعل ليؤتم به فإذا كان الإمام غير معصوم وأخطأ فمن يصوب له؟ إذا أخطأ الإمام فعلى الناس أن يتابعوه فى الخطأ لأنه إمام يؤتم به وقد فرض الله تعالى طاعته حيث يقول " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم " (٥).

١ \_ (طه) ٢٩\_٣٢

٢ \_ (طه) ٣٦

٣ \_ (الاعراف ٢٠١)

٤ \_ (الفرقان ٧٤)

٥ \_ (النساء ٥٩)

فطاعة أولى الأمر – الأئمة – طاعة مطلقة دل على ذلك حرف العطف  
 الواو والذي يفيد الاشتراك فى الحكم وكذلك فإن الآية مطلقة ليست  
 مقيدة فإذا عصى الإمام أو أمر بمعصية لوجب أن يطاع طبقاً للآية والله  
 تعالى لا يأمر بالنقيضين الطاعة والمعصية ولذا وجب أن يكون ولى  
 الأمر معصوما لا يعصى الله تعالى ولا يأمر بالمعصية وهذا ما نجده  
 فقط فى أئمة أهل البيت المطهرين عليهم السلام دون غيرهم . وإنما لتساءل  
 وأى ضمير فى أن يكون الإمام معصوما وهو الذى يعتلى قمة الهرم فى  
 الإسلام؟ وأيهما أفضل عزيزى القارىء أن يكون إمامك معصوما لا  
 يخطئ فتثق فيه وتقتدى به وتسير خلفه وأنت مطمئن وكلك ثقة أنك  
 تسير فى الطريق المستقيم أم أن يكون هذا الإمام غير معصوم يخطئ  
 ويصيب لا تعرف متى يصيب ومتى يخطئ؟ وبالله عليك عزيزى القارىء  
 إذا وجدت إمامك على معصية – لأنه غير معصوم – هل ستثق فيه أم  
 تتفر منه؟ إنك حينما تجد أحدا يعصى ويخطئ فإنك تفقد الثقة فيه  
 وتعرف أنه لا يصلح أن يقتدى به فكيف إذا وجدت إمامك بهذه الصفة  
 وهو المفروض أن يكون قدوة للآخرين؟ هل يريد من ينفى العصمة عن  
 الإمام ان يكون الإمام ساقطا فى أعين أتباعه لا ثقة فيه؟ إن الإمام هو  
 المثال والنموذج الذى جعله الله تعالى للأمة لتقتدى به وتسير خلفه. إن  
 أولئك الذين ينفون العصمة عن الأئمة لا يكتفون بذلك وإنما ينفون  
 العصمة أيضا عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ويقولون إنه معصوم فقط فيما يبلغ  
 عن ربه فى أمر الوحي أما غير ذلك فهو بشر يخطئ ويصيب . إنهم  
 لا يتصورون إنسانا طهره الله وكمله فأصبح معصوما حتى يكون  
 نموذجا ومثالا وحجة لله تعالى على البشر. لو كان الإمام غير معصوم  
 لكان الله تعالى قد كلف البشر بما لا طاقة لهم به حيث فشل جميع  
 الخلق بما فيهم الإمام فى الالتزام بمنهج الله تعالى والذى لا يستطيع  
 أحد تطبيقه كلية. وإذا كان هذا هو حال الإمام فالعذر لبقية البشر  
 فى معصيتهم لله تعالى حيث أن إمامهم يعصى الله تعالى ولا يمكنه  
 الالتزام كلية بمنهج الله تعالى. إن الله تعالى جعل الأئمة معصومين

ليكونوا نموذجاً ومثالاً وحجة له على خلقه لئلا يكون للناس حجة على الله تعالى. إن الرسائل السماوية السابقة كان يصيبها الانحراف بعد وفاة صاحب الرسالة فيرسل الله تعالى من بعده رسلاً وأنبياء ليصححوا هذا الانحراف الذي حدث في مسيرة الرسالة السماوية أما الإسلام الرسالة السماوية الخاتمة فإذا حدث فيه انحراف بعد وفاة الرسول ﷺ فكيف يتم تصحيح هذا الانحراف خاصة وأنه لا نبي ولا رسول بعد المصطفى ﷺ فوجود الإمام المعصوم ضرورة لكي يحافظ الإسلام على استقامته ويصحح أي انحراف وعوج يمكن أن تتعرض له مسيرته. إن الذين يتضررون من القول بعصمة الأئمة هم أولئك الذين يتخذون أئمة غير معصومين أخطأؤهم معروفة على مدى التاريخ.

أما عجب الكاتب من عصمة السيدة الزهراء عليها السلام فإننا لا نجد ما يبرره إلا أن يكون الكاتب قد نسى أن الزهراء عليها السلام هي سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة فقد أخرج البخاري ومسلم عن السيدة فاطمة عليها السلام أن النبي ﷺ قال لها "يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين". وروى البخاري أن النبي ﷺ قال "فاطمة سيدة نساء أهل الجنة"<sup>(١)</sup> فالله تعالى خصَّ الزهراء عليها السلام بمنزلة ليست لأحد سواها من النساء كما خصَّ أباهَا بمنزلة ليست لأحد غيره فهل نعجب أن تكون صاحبة هذه المنزلة معصومة؟ وهل يليق بصاحبة هذه المنزلة أن ترتكب الذنوب والمعاصي؟

فإذا كان الله تعالى قد ميَّز الزهراء عليها السلام وفضلها على سائر النساء فهل نعجب إذا طهرها الله تعالى وعصمها من الذنوب والمعاصي؟ وهل نسى الكاتب أن الرسول ﷺ قال لفاطمة عليها السلام "يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك"<sup>(٢)</sup>. وقال أيضاً فيما رواه البخاري "فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني"<sup>(٣)</sup> فإذا كان غضب الزهراء عليها السلام يجلب غضب الله ورسوله فهل تغضب في الباطل فيغضب الله

١ - (فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج٧-١٣١)

٢ - (أخرجه أبو يعلى والطبراني والحاكم وأبو نعيم وابن عساکر) ٤ - آل عمران ٤٢

٣ - (فتح الباري ج٧-١٣٢)

تعالى لهذا الغضب؟ إنها حتى في حال الغضب لا تغضب إلا لله وإذا كان الله تعالى يرضى لرضاها فهل ترضى بالباطل؟ إن الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ ربانية خالصة لله تعالى قد زكت نفسها وتطهر قلبها وأصبحت في حالة عبودية خالصة لله تعالى تعيش بكل كيائها وعواطفها ومشاعرها ووجدانها مع الله تعالى فهل كان للشيطان سلطان عليها والله تعالى يقول "إن عبادي ليس لك عليهم سلطان" <sup>(١)</sup> فهل نعجب إذا كانت الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ معصومة؟

إن الله تعالى يقول في كتابه ﴿يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ <sup>(٢)</sup>. فلماذا هذا الاصطفاء والتطهير الإلهي لمريم عَلَيْهَا السَّلَامُ؟ هل كانت نبية أو إماما أم كانت أما للمسيح عَلَيْهَا السَّلَامُ؟ فهل نسى الكاتب أن الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ كانت أما لسيدى شباب أهل الجنة الحسن والحسين بل كانت أما لأبيها سيد الأنبياء والمرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكيف تكون مثل هذه الأم؟ وهل يليق بها أن ترتكب المعاصي والذنوب؟ إن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ بضعة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو المعصوم أفلا تكون بضعته معصومة؟

الكاتب يتعجب من عصمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ فكيف به إذا قلنا أن الله تعالى كان يوحى إليها؟ ومهلا عزيزى القارئ ولا تتسرع فإننا لانقصد أنها نبية ولا نقصد بالوحى وحى النبوة وإنما وحى الإلهام مثلما أوحى الله تعالى إلى أم موسى وإلى الحواريين "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه" <sup>(٣)</sup> "وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى" <sup>(٤)</sup> وماذا إذا قلنا أيضا إن الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ كانت محدثة تكلمها الملائكة؟

ألم يقل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن من أمتى محدثين؟ ألم تكلم الملائكة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ <sup>(٥)</sup> وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى

١- (الإسراء ٦٥)

٢- (آل عمران ٤٢)

٣- (المائدة ١١١)

٤- (آل عمران ٤٢)

وماذا إذا قلنا إن الزهراء عليها السلام كان يأتيها الطعام من الجنة؟ ألم تكن مريم عليها السلام تأكل من طعام الجنة؟ " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب " <sup>(٢)</sup> فهل الزهراء عليها السلام أقل من مريم عليها السلام؟ فقد روى ابن كثير فى تفسيره <sup>(٣)</sup> عن الحافظ ابو يعلى بسنده عن جابر أن رسول الله صلّى الله عليه وآله أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف فى منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئا فأتى فاطمة فقال " يا بنية هل عندك شىء آكله فأنى جائع؟ قالت لا والله - بأبى أنت وأمى - فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم فأخذته منها فوضعتة فى جفنة لها قالت والله لأوترن بهذا رسول الله صلّى الله عليه وآله على نفسه ومن عندى وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة طعام فبعثت حسنا أو حسينا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فرجع إليها فقالت بأبى أنت وأمى قد أتى الله بشىء فخبأته لك قال " هلمى يا بنية " قالت فأتيته بالجفنة فكشفت عنها فإذا هى مملوءة خبزا ولحما فلما نظرت إليها بهت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله وصليت على نبيه وقدمته إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فلما رآها حمد الله وقال " من أين لك هذا يا بنية ؟ " قالت يا أبت " هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب " فحمد الله وقال " الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة نساء بنى اسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله شيئا وسئلت عنه قالت " هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب "

فهل ما زال الكاتب يتعجب من القول بعصمة الزهراء عليها السلام ؟

١ - (آل عمران ٣٧)

٢ - (تفسير ابن كثير ج ١ - ٣٦٠)